﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ٦﴾ [الكهف: 6]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

بعد تكذيب الدّعوة تُساق التّسليةُ للدّاعي حفظًا له مِنَ الهلاك

لمّا استفتحَ النَّظمُ الجليلُ السّورةَ بالحمدِ على نعمةِ الكتابِ وبشارةِ المؤمنين، وإنذارِ القائلين بالولد مِنَ النَّصارى، وعظَّم جُرْمَهم بقوله تعالى: ﴿إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾، ولمّا كان صلى الله عليه وعلى آله وسلم شديدَ الحرصِ على إيمانهم شفقةً عليهم، وتعظيمًا لتوحيد الله تعالى؛ خفض عليه سبحانه بقوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ﴾ تسليةً له ﷺ، فالتحمتِ الآيُ أعظمَ التحامٍ، وأحسنَ التئامٍ[1]، فبعد الإنذار "سرّى الله تعالى عن رسوله ﷺ، وواساهُ في حزنِه على المشركين لتركِهِمُ الإيمانَ، وبُعدهم عنه" بهذه الآية.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿بَٰخِعٞ﴾: (بخع) أصلٌ يدلُّ على القتلِ وما داناهُ مِن إذلالٍ وقَهرٍ[2]، بخَعَ نفسَه يَبخَعُها بَخعًا وبُخوعًا: قتلها غَيظًا أو غَمًّا، قال تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ﴾، أي: مُخرِجٌ نفسَك، وقاتلٌ نفسَك ومهلكها، ونُقل عن الأَخفش أنَّه قال: يُقالُ: بَخَعْتُ لَكَ نفْسي ونُصْحي، أَيْ: جَهَدْتها[3]، وفي قوله تعالى: ﴿فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ﴾ [فاطر: 8] حَثٌّ على ترك التَّأسُّف[4]، قال اللَّيث: بخع الرَّجلُ نفسَه؛ إذا قتلَها غيظًا مِن شدَّة وجدِه بالشَّيء.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 12/ 9 - 12.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (بخع).
(3) ابن منظور، اللسان: (بخع)، ولم أقف على ما عُزي إلى الأخفش في كتابه معاني القرآن.
(4) الرّاغب، المفردات: (بخع)، والفخر الرّازي، مفاتيح الغيب (21/ 426).

2) ﴿ءَاثَٰرِهِمۡ﴾: (أثر) أصلٌ يدلُّ على رَسْمِ الشَّيْءِ الباقي[1]، والأثرُ: بَقيَّةُ ما يُرَى مِن كُلِّ شيءٍ، وما لا يُرَى بَعدَ أَنْ تَبقَى فيهِ علقةٌ، وأَثَرُ السَّيفِ: ضَرْبَتُهُ[2]، وأثرُ الشَّيء: حصولُ ما يدلُّ على وجوده، يقال: أثَرَ، وأثَّرَ، والجمع: الآثار، قالَ اللّهُ تعالى: ﴿ثُمَّ قَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا﴾ [الحديد: 27][3]، ومعنى ﴿ءَاثَٰرِهِمۡ﴾ في قوله جلَّ شأنه: ﴿بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ﴾، أي: "على فراقهم ومن بعد توليهم وإعراضِهم"[4]، ومعنى الآثار في الآية: "جمع أثرٍ، وهو ما يُؤثرُهُ، أي: يُبقيه الماشي، أو الرّاكب في الرَّمل، أو الأرض من مواطئ أقدامِهِ، وأخفافِ راحلَتِه، والأثرُ أيضًا: ما يُبْقيه أهلُ الدّار؛ إذا ترحَّلوا عنها من تافهِ آلاتِهم التي كانوا يُعالجون بها شؤونهم كالأوتاد والرَّماد"[5].

3) ﴿ٱلۡحَدِيثِ﴾: أَصلُ (حدث) كَوْنُ الشَّيءِ لم يكن، يُقالُ: حَدَثَ أَمرٌ بَعد أن لم يكن، والحَديثُ مِن هَذا؛ لِأَنَّهُ كَلامٌ يَحدُثُ مِنهُ الشَّيءُ بَعدَ الشَّيءِ[6]، والحديث: نقيضُ القديم، يقال: أَخذني ما قَدُمَ وحَدُث، والحديث: الخبرُ، يأتي على القليل والكثير، ويُجمَعُ على أحاديثَ[7]، ويُسمَّى القرآن حديثًا، قال تعالى: ﴿أَفَمِنۡ هَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ تَعۡجَبُونَ ٥٩﴾ [النجم: 59][8]، والمراد بقوله جلَّ شأنه: ﴿إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ﴾: القرآن[9].

4) ﴿أَسَفًا﴾: (أسف) أَصلٌ يَدلُّ على الفَوتِ والتَّلَهُّفِ[10]، والأَسَفُ: أشدُّ الحزن، وقد أَسِفَ على ما فاته، وتأَسَّفَ، أي: تلهَّف، وأَسِفَ عليه أَسَفًا، أي: غَضِب[11]، ويُقال للحزنِ والغضبِ معًا، أو لكلٍّ واحدٍ منهما على الانفراد، وحقيقته: ثورانُ دم القلب شهوةَ الانتقام، فمتى كان ذلك على مَن دونه؛ انتشرَ، فصارَ غضبًا، ومتى كان على مَن فوقه؛ انقبضَ،

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (أثر).
(2) الخليل، العين: (أثر).
(3) الرّاغب، المفردات: (أثر).
(4) الشوكاني، فتح القدير: 3/ 320.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 254.
(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حدث).
(7) الجوهري، الصحاح: (حدث).
(8) السّمين، عمدة الحفاظ: (حدث).
(9) الشوكاني، فتح القدير: 3/ 320.
(10) ابن فارس، مقاييس اللغة: (أسف).
(11) الجوهري، الصحاح: (أسف).

فصارَ حزنًا، وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزخرف: 55]، أي: أغضبونا[1]، فعلى هذا يأتي الأسف في القُرْآن على وجْهَيْن: أحدهما: الحزنُ، والثّاني: الغَضَب[2]، والمراد به في الآية الحزنُ؛ "لأنَّه على مَن لا يَملِكه، ولا هو تحت يدِ الأَسِف، ولو كانَ الأسف مِن مُقتدرٍ على مَن هو في قبضته وملكه؛ لكان غضبًا[3].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

هداية الخلق بيد الخالقِ وحسْبُ المبلِّغ الدَّعوة إلى الله

يُخبرُ اللّهُ تعالى النَّبيَّ هاديًا له ومعلِّمًا ومرشدًا ألّا "تبخع نفسك مِن بعد تولّيهم عنِ الإيمانِ وإعراضِهم عنه أسفًا وحسرة عليهم، فقد اشتدَّ وجدُك عليهم، وبلغت حالًا مِنَ الأسَى والحسرةِ صِرتَ فيها أشبهَ بحال مَن يُحدِّث نفسه أن يبخعها أسًى وحسرةً عليهم، وما كان مِن حقِّك أن تفعلَ ذلك، إن عليكَ إلّا البلاغُ، وليس عليك الهدايةُ"[4]، فإشغالُ النَّفس بالغمِّ، والأسفِ ليس فيه فائدة، ومِنَ العِبَرِ في هذه الآية أنَّ على المأمور بدعاء الخلق إلى اللّه "التَّبليغَ والسَّعي بكلِّ سبب يوصل إلى الهداية، وسدّ طُرق الضَّلال والغواية بغاية ما يمكنه، مع التَّوكُّل على اللّه في ذلك، فإنِ اهتدوا فبها ونِعمت، وإلّا فلا يَحزن، ولا يَأسف، فإنَّ ذلك مُضعفٌ للنَّفس، هادمٌ للقوى، ليس فيه فائدة، بل يمضي على فعلهِ الذي كُلِّف به، وتوجَّه إليه، وما عدا ذلك، فهو خارجٌ عن قدرته"[5].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

دلالةُ الفاءِ في مفتتح الآية:

مِن حِرص نبيِّ الرَّحمة على قومهِ أَساهُ على تولّيهم

افتتحَ النَّظمُ الجليل قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ

(1) الرّاغب، المفردات: (أسف).
(2) ابن الجوزي، نزهة الأعين النواظر، ص: 91.
(3) ابن عطية، المحرر الوجيز: 3/ 496.
(4) المراغي، تفسير المراغي: 15/ 116.
(5) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 470.

ءَاثَـٰرِهِمۡ﴾ بالفاء الدّالَّة على التَّفريع؛ لأنَّها مترتِّبة على الجملة في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗا ۝٤﴾ [الكهف: 4]؛ لأنَّهم بحكم المكذِّبين، فكان النَّبيُّ ﷺ في ضيق شديدٍ مِن تكذيبهم، دلَّ على ذلك مقابلته بقوله جلَّ شأنه: ﴿وَيُبَشِّرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الكهف: 2][1].

معنى (لعلّ) وفائدةُ الخطاب في الآية:

سبيلُ الأنبياء عـدمُ الاكـتراث بكفر الكافرين

عبَّر النَّظمُ الجليل بحرف الرَّجاء (لعلَّ) في قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَـٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِمۡ﴾ لتنبيه النَّبيِّ ﷺ مِن أن يكون مغتمًّا أو حزينًا على كفرهم به، وعدم إيمانهم، وفائدتها في الخطاب تسليةُ النَّبيِّ ﷺ لقلَّة الاكتراث بهم[2].

بلاغةُ المجاز في (لعلَّ):

صـورةٌ التـأسُّفِ والـحـزن بلغت حدَّ توقُّع الناسِ الهلاكَ

حقيقةُ (لعلَّ) "إنشاءُ الرَّجاء والتَّوقُّع، وتُستعمل في الإنكار، والتَّحذير على طريقة المجازِ المُرسل؛ لأنَّهما لازمان لتوقُّع الأمر المكروه"[3]، وهي أيضًا "للترجي، وهو الطَّمع في الوقوع أو الإشفاق منه، وهي هنا استعارة، أي: وصلتَ إلى حالة يتوقَّع منك الناسُ ذلك لما يُشاهَدُ مِن تأسُّفك على عدم إيمانهم"[4]، فلعلَّ هنا استُعْمِلت بين الحذر مِن الهلكة، والإشفاق من الوقوع فيها.

بلاغةُ الاستفهامِ الإنكاري:

الـحـزنُ عـلى ما ليس أمره باليد مَظِنَّةُ النهي

وقوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَـٰخِعٞ﴾ استفهامٌ إنكاريٌّ بمعنى النهي، أي: لا تبخع نفسك، ولا تُهلِكْها حزنًا وأسفًا لإعراضِ قومك عنِ الإيمان.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 253.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 254.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 254.
(4) الآلوسي، روح المعاني: 8/ 197، والقاسمي، محاسن التأويل: 7/ 6.

سرُّ إيثار ﴿بَٰخِعٌ﴾ على هَيْئة اسم الفاعل:

لا ينبغي للمؤمن الاتِّصاف بالغِلْظة على نفسه لكُفر النّاس بدعوته

آثرَ النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ بـ(البخع) في قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ﴾، وهو دالٌّ على قتل النَّفس، وأصلهُ أن يبلغ الذّابحُ بالقطع إلى القفا، وأُطلق على القتل المشوب بغيظ[1]، ففي هذه اللَّفظة دلالةٌ على القتل بكيفيَّة خاصَّة، والمراد به بيانُ سوء القتل للنَّفس وتبشيعه، تنفيرًا منه وتنميمًا للتَّحذير والتَّسلية، وجيء به بصيغة اسم الفاعل للدَّلالة على أنَّ الذَّمَّ حاصلٌ بمجرَّد التَّحلّي بهذه الصِّفة، من غير اقتضاء الشُّروع فيها وإحداثها، تنفيرًا من الاتِّصاف بها، وجيء بلفظ ﴿بَٰخِعٌ﴾ على هيئة اسم الفاعل أيضًا؛ لتصوير حالةِ أسفه، وشدَّة حزنه في ذهن السّامع واسْتِحضارها[2].

دلالةُ لفظ (نفس) وسرُّ إضافته:

عِظَمُ الهمِّ والغمِّ مقتلةٌ للنَّفس متلفةٌ لها

عبَّر النَّظمُ الجليل بالنَّفس في قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ﴾ للدَّلالة على شدَّة الغمِّ والوجد الذي هو فيه[3]، بحيث إنَّه في حال مَن يُتَوقَّع منه أن يوشك أن يُقْبِلَ على قتْلِ نفسه لشدَّة ما فيه من غمٍّ وألم، والإضافة إلى ضمير المخاطَبِ تهويلٌ لشأن القتل؛ إذ إنَّ قتْلَ النَّفس مُحرَّمٌ بالنَّصِّ.

دلالةُ حرفِ الاستعلاء في ﴿عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ﴾:

عبَّر النَّظمُ الجليلُ بحرف الاستعلاء ﴿عَلَىٰٓ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ﴾ للدَّلالة على الاستعلاء المجازيِّ، وهو شدةُ الاتصال بالمكان؛ لأنَّ البَخْع لم يكن على الآثار حقيقة، ويجوز أن يكونَ ﴿عَلَىٰٓ﴾ للتَّعليل، والمعنى: لعلَّك مُهلكٌ نفسك لأجل إعراضهم عنك[4].

---

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 254.
(2) القونويُّ، حاشيته على تفسير البيضاويِّ: 12/ 15.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 12/ 12.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 254.

بلاغةُ التشبيهِ في الآية الكريمة:

حـزنُ الـدّاعـي على كُفر قومِهِ كـوجْـدِ فـاقـدٍ أهلَهُ يبكي على آثارهم

في قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا﴾ تمثيلٌ ضمنيٌّ، فهو تشبيهٌ لحال النَّبيِّ ﷺ في شدَّة حِرصه على إيمان النّاس، وفي غمِّه مِن إعراضِهم بحال مَن فارقَهُ أهلُهُ وأحبَّتُهُ، فهَمَّ بقتل نفسه وجدًا عليهم، وتحسُّرًا على آثارهم؛ إذ الشَّفقة على خلق اللّه والرَّحمة عليهم مِن لوازم مَحبَّةِ اللّه والدَّعوة إليه[1]، فلمّا أدبروا عنِ الإيمان، وتباعدوا عنه، وأعرضوا عنِ الشَّرع، فكأنَّهم مِن فرط ذلك الإدبارِ قد بعدوا، فهو في آثارهم يحزن عليهم[2]، وجاز أن يكون مِن باب التَّشبيه لذكر طرفيه، وهُما النَّبيُّ ﷺ وباخع؛ بأن يُشبَّه ﷺ لشدَّةِ حرصه على الأمر بمَنْ يُريد قتل نفسه لفوات أمر تَحَقُّق إيمانهم[3].

بلاغةُ الاستعارةِ في الآية:

المـتـوقَّـعُ مِـنَ المُـفـارِقِ أحبَّتَهُ هلاكُ نفسِه

يذهب العماديُّ إلى أنَّه "يجوز حملُ النَّظمِ الكريم على الاستعارة التبعيةِ بجعل التَّشبيهِ بين أجزاءِ الطرفين لا بين الهيئتين المنتزَعتين منهما، كما في التمثيل"[4]، وهي عند الآلوسيِّ "استعارةٌ تمثيليَّة؛ وذلك أنَّه مثَّل حاله ﷺ في شدَّة الوجد على إعراض القوم وتولّيهم عنِ الإيمان بالقرآن وكمال الحزن عليهم؛ بحال مَن يُتوقَّع منه إهلاك نفسه إثر فوتِ ما يحبُّه عند مفارقة أحبَّته تأسُّفًا على مُفارقتهم وتلهُّفًا على مُهاجرتهم، ثمَّ قيل ما قيل، وهو أولى من اعتبار الاستعارة المُفردة التَّبعيَّة في الأطراف"[5].

(1) القاسمي، محاسن التأويل: 7/ 6.
(2) ابن عطية، المحرر الوجيز: 3/ 496.
(3) الآلوسي، روح المعاني: 8/ 197.
(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 204.
(5) الآلوسي، روح المعاني: 8/ 197، والقاسمي، محاسن التأويل: 7/ 6، وأبو زهرة، زهرة التفاسير: 9/ 4489.

نكتةُ إيثارِ ﴿إِن﴾ دون (إذا):

وقوعُ الإيمانِ مِنَ المُعرضين مُستبعَدٌ لفرط إدبارِهم

القاعدةُ أنَّ الفعل إذا كان مُحقَّقًا وقوعُهُ؛ فالمُناسب له (إذا)، وإنْ كان مُحقَّقًا عدمُهُ؛ أتى بـ ﴿إِن﴾؛ فـ (إذا) لتحقُّق الشَّرط، وتحقُّق الجزاءِ، أمّا ﴿إِن﴾؛ فإنَّها لا تُفيد تحقُّقَ الشَّرط، ومِن ثمَّ لا يتحقَّق الجزاء[1].

وسياق الآية في قوله تعالى: ﴿إِن لَّمْ يُؤْمِنُواْ﴾ استبعادُ وقوع الإيمان مِنَ الكافرين، لكونهم في إدبار وتباعُدٍ عن الإيمان، وإعراض عن الشَّرع، فَكأنَّهم من فرط إدبارهم قد بعدوا[2]، وللإشعار بأنَّهم باقون على تَولّيهم، وإعراضهم، ولذلك جاء بـ ﴿إِن﴾ دون (إذا).

سرُّ التَّعبيرِ بالمضارعِ المنفي ﴿يُؤْمِنُواْ﴾:

مِن رحمةِ الله تعالى بنبيِّه تهيئةُ نفسه لما سيلقاه مِنَ الشَّدائد

في قوله تعالى: ﴿إِن لَّمْ يُؤْمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ﴾ عبَّر بصيغة الفعل المضارع ﴿يُؤْمِنُواْ﴾ المقتضيةِ الحصولَ في المستقبل، أي: إنِ استمرَّ عدم إيمانهم، إيماءً إلى أنَّهم غيرُ صائرين إلى الإيمان، ولتهيئة نفسه ﷺ أن تتحمَّل ما سيلقاه من عنادهم رأفةً من ربِّه به[3].

بلاغةُ التَّصريحِ باسم الإشارة للقريبِ:

حضورُ القرآنِ في الأذهان مِنَ الوضوح كأنَّهُ شاخصٌ يُشار إليه

صرَّحَ النَّظمُ الجليلُ باسم الإشارةِ في قوله تعالى: ﴿إِن لَّمْ يُؤْمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا﴾، فأنزل القرآنُ منزلة المُشار إليه؛ "لأنَّه لحضوره في الأذهان كأنَّه حاضرٌ في مقام نزولِ الآية، فأشيرَ إليه بذلك الاعتبار"[4]، ودلالتُه على القُرب وقعت في مَوقع حسنٍ بليغ؛ فلمّا صوَّر بُعدهم بما دلَّ عليه ذِكرُ الآثار؛ أتبعه بتصوير قربِ ما دعاهم إليه، ويُسْرِ تناوله[5]، وهذا القُربُ - الدّالُّ على أنَّ الإيمانَ بهذا

(1) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 4/ 50، وأبو زهرة، زهرة التفاسير: 3/ 1444.
(2) ابن عطية، المحرر الوجيز: 3/ 496.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 255.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 255.
(5) البقاعي، نظم الدرر: 12/ 13.

الكتاب ينبغي أن يُسارِعَ إليه كلُّ عاقلٍ - هو السِّرُّ في تَوقُّعِ إهلاكِهِ نفسَه على عدم إيمانهم.

نكتةُ إطلاقِ لفظ ﴿ٱلۡحَدِيثِ﴾ على القرآن:

نُـزولُ القرآنِ مُتجدِّدٌ مُتدرِّج حسب الوقائعِ الحادثة

أطلقَ النَّظمُ الجليل لفظ الحديث على القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا﴾؛ لأنَّ القرآنَ دائمُ النُّزولِ مُتجدِّدٌ على حسب التَّدرُّج[1]، "وإطلاقُ اسم الحديث على القرآن باعتبار أنَّهُ إخبارٌ مِنَ اللّٰه لرسوله؛ إذ الحديثُ هو الكلام الطَّويل المتضمِّن أخبارًا وقصصًا، سُمّي الحديثُ حديثًا باعتبار اشتماله على الأمر الحديث، أي: الذي حدَثَ وجَدَّ، أي: الأخبار المُستجِدَّةُ التي لا يعلمها المخاطَبُ"[2]، ولأنَّه تعالى شبَّهه بما يُتَحَدَّثُ به، فإنَّ اللّٰه خاطب به المكلَّفين[3].

بلاغةُ حذْفِ جواب الشَّرط في الآية:

إعراضُ المشركين عـنِ الإيـمـانِ يُـسـبِّـبُ قـتْـلَ النَّفس غمًّا

أوردَ النَّظمُ الجليل جملةَ الشَّرط محذوفةَ الجواب في قوله تعالى: ﴿بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا﴾ لظهور المعنى، والاعتماد على المفهوم مِن الجملة السّابقة في قوله: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ﴾[4]، أي: إن لم يؤمنوا بهذا الحديث؛ فأنت قاتلٌ نفْسَك غمًّا.

دلالةُ لفظ ﴿أَسَفًا﴾ وإعرابه:

تـصـويـرُ حـالـهِ ﷺ في شـدَّة حـرصـهِ عـلى هداية قومه

الأَسفُ: المُبالغةُ في الحُزنِ، وفي انتصابه وُجوهٌ: **الأوَّل:** أنَّه نُصِبَ على المصدَرِ، ودلَّ ما قَبلهُ مِن الكلامِ على أنَّه يأسَفُ، **الثّاني:** يجوزُ أَن يكون مفعولًا له، أي: للأسفِ، كقولك: (جئتك ابتغاء الخير)، **والثّالثُ:** قال الزَّجّاج: ﴿أَسَفًا﴾ منصوبٌ؛ لأنَّه مصدرٌ في موضع الحالِ[5].

(1) البقاعي، نظم الدرر: 12/ 13.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 255.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 2/ 261.
(4) السّمين، الدر المصون: 7/ 441، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/ 204.
(5) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 21/ 426.

سرُّ التَّعبيرِ عَنِ الأسفِ بالمصدر المنكَّر:

الأســـفُ هَـمٌّ شديد لا يزولُ

في قوله تعالى: ﴿إِن لَّمْ يُؤْمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ عبَّر الذِّكر الحكيم عَنِ الأسف بالمصدر المنكَّر لبيان المُبالغة في الحُزن والغضب، فالأسف هو الهمُّ الشَّديد والحزن العميق الذي لا يذهب، بل يبقى كقوله تعالى: ﴿غَضْبَٰنَ أَسِفًا﴾ [الأعراف: 150]، أي: مهمومًا همًّا يسكن في القلب، ولا يكونُ كالغضب يعرض ثمَّ يزول، كالزوبعة تثور ثمَّ تهدأ، أمّا الأسف والهمُّ؛ فيبقى[1].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

باخعٌ وقاتلٌ وهالكٌ:

البَخْعُ أخصُّ مِنَ القتل والهلاك، فهو قتلٌ مشوبٌ بغيظٍ

﴿بَٰخِعٌ﴾: (بخع) أَصلٌ يدلُّ على القتلِ وما داناهُ مِن إذلالٍ وقَهرٍ[2]، وبخَعَ نفسَه: قتلها غيظًا أو غمًّا، قال تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾، أي: مُخْرِجٌ نفسَك، وقاتلٌ نفسَك، ومُهْلِكُها؛ فآثرَ التَّعبيرَ بلفظ (البخع) في قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ﴾ لما فيه من دلالة على سوءِ القتلِ وشدَّته؛ لكونه مقترنًا بالغيظ، فهو يُطلَقُ على القتل المشوب بغيظٍ[3]، فآثر التَّعبيرَ به تنبيهًا على سوء قتل النَّفسِ همًّا على كفر الكافرين، وهذا المعنى لا يتحقَّقُ في لفظَي القتلِ والهلاك لعموم دلالتهما.

الأسفُ والحزنُ والبثُّ والحسرة والغمُّ والهَمُّ والأسى:

الأســـفُ حـزنٌ شديدٌ جاثمٌ على القلب لا يزولُ

(أسف): أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى الفَوْتِ والتَّلَهُّفِ[4]، والأَسَفُ: أشدُّ الحزن، وقد أَسِفَ على ما فاته، وتأَسَّفَ، أي: تلهَّف، وأَسِفَ عليه أَسَفًا، أي: غَضِبَ[5]، فـ(الأسف) حَسْرةٌ مَعها غضبٌ أَو غيظ[6]، وهو المبالغة في

(1) الزمخشري، الكشاف: 2/ 704، وأبو زهرة، زهرة التفاسير: 9/ 4490.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (بخع).
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 254.
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (أسف).
(5) الجوهري، الصحاح: (أسف).
(6) العسكري، الفروق اللغوية: 267، وأبو زهرة، زهرة التفاسير: 7/ 3852.

حزنٍ أو غضب[1]، لفعل يخالفه مع عدم القدرةِ على الانتقام، أمّا الغضب؛ فمِمَّن يقدر عليه[2]، وهو "الهمُّ الشَّديد الذي لا يذهب، فهو باقٍ لا يزول، كقوله تعالى: ﴿غَضْبَٰنَ أَسِفًا﴾ [الأعراف: 150]، أي: مهمومًا همًّا يسكن في القلب، فهو ليس كالغضب، حيث إنَّهُ يَعرِض، ثمَّ لا يلبث أن يزول[3]، و(الحزن): ما يكون في النَّفس من الآلام الدَّفينة، فالحزنُ يُفيد غِلَظ الهمِّ، و(البَثُّ): الهمُّ العارض الذي لا يُمكن الصَّبر عليه، وينتشر في النَّفس، ويسدُّ عليها أسباب السرور، فهو يُفيد أنَّه ينبثُّ، ولا ينكتم، من قَوْلك: أبثثْتُهُ ما عندي، وبَثَثْتُهُ؛ إذا أعلمته إيّاه[4]، و(الحَسْرَة): غمٌّ يَتَجَدَّدُ لفوت فائِدَة، فَلَيْسَ كلُّ غمٍّ حسرةً، و(الغَمُّ): معنًى ينقبض القلبُ مَعَهُ، ويكون لوُقوع ضَرَرٍ قد كانَ، أَو لتوقُّع ضَرَرٍ يكونُ، أَو يتوهَّمُهُ، و(الهمُّ): هو الحزن الَّذي تطول مدَّتُهُ حَتَّى يُذيبَ البدنَ[5]، و(الأسى): حزنٌ على الشَّيْء الَّذي يفوت، و(الكَمَد): حزنٌ لا يُسْتَطاع إمضاؤه[6].

واختيرَ الأسفُ في الآية؛ "لأنَّه على مَن لا يملك، ولا هو تحت يدِ الآسف، ولو كان الأسفُ مِن مُقتدرٍ على مَنْ هو في قبضته ومُلكِه كان غَضبًا، كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزخرف: 55]، أي: أغضبونا"[7]، وهو الأنسبُ للآية تعبيرًا عن شدَّة حزن النَّبيِّ ﷺ على كُفرِ قومه الذين لا يملكُ أمرَهُم، وإعراضِهم عن الهداية والخير في دعوته.

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز: 3/ 496.
(2) الشهاب، عناية القاضي: 6/ 75.
(3) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 9/ 4490.
(4) العسكري، الفروق اللغوية: 267، وأبو زهرة، زهرة التفاسير: 7/ 3852.
(5) العسكري، الفروق اللغوية: 266 - 267.
(6) الكفوي، الكُلّيّات، ص: 114.
(7) أبو حيّان، البحر المحيط: 6/ 96.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع والعشرون،
سورة الإسراء من الآية 78 إلى سورة الكهف الآية 36
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع والعشرون، سورة الإسراء من الآية 78 إلى سورة الكهف الآية 36
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 29 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-26-5
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 29 : المجلد التاسع والعشرون، سورة الإسراء من الآية 78 إلى سورة الكهف الآية 36.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-26-5
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6484549 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»